



الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وحدثهم ببعض ما يكون في المستقبل، فكان مما قال: (إِنَّ أَمَّتُكُمْ هَذِهِ جُعلَ عَافِيَتُهَا فِي أُولَئِنَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءً، وَأَمُورٌ تُنَكِّرُنَّهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيُقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهَلَّكَتِي، ثُمَّ تَنَكِّشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلَتَأْتِهِ مَيِّتَةٌ وَهُوَ يُوْمَنُ بِاللِّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ) أخرجه مسلم.

ومعنى: (فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا): أي يصير بعضها رقيقاً أي خفيأً لعظم ما بعدها، فالثاني يجعل الأول رقيقاً، أو يسوق بعضها إلى بعض بتحسيتها وتسليلها والثاني فيرقق والثالث، وهكذا.

فمما ميز الله تعالى - به آخر هذه الأمة شدة البلاء الذي يصيبها، وكثرة المصائب التي تنزل بها بما لم يكن في أولها، مما يجعل (**الْحَلِيمَ حَيْرَانًا**)؛ لشدة ما فيها من التباسٍ وتدخلٍ، وصعوبة تمييز بعضها عن بعض، والتصريف تجاهها.

ولشدة البلاء هذا، وما يحتاجه من صبرٍ ومكافحةٍ فإنَّ الأجر المترتب عليه كبيرٌ وعظيمٌ؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ من ورائِكُمْ أَيَّامَ الصِّبْرِ، الصِّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قِبْضِ عَلَى الْجَهَنَّمِ، لِلْعَالَمِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ، قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؛ قَالَ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ) أخرجه أبو داود، وغيره.

فللصابر على هذه الفتن، والمحن، والعامل بما أمره الله في ذلك الوقت العصيّب أجر خمسين من الصحابة رضي الله عنهم؛ لشدة مواجهة هذه الفتن، وصعوبة العمل فيها.

وقد أرشدنا ديننا الحنيف إلى سبيل الخروج من هذه الفتن بذرöm جماعة المسلمين، والأخذ بما عليه مجموعهم العام؛ فإنَّ الخير والحق يكون غالباً مع الجماعة، بما فيها من أهل رأي، وخبرة، وأهل العلم، وعامة المسلمين.

فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث ذلك، مثل قوله: **(تَلْزُمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ)** أخرجه البخاري، ومسلم.

وقوله: **(فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوْحَةَ الْجَنَّةِ فَلِيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ)** أخرجه أحمد.

والمحصود بجماعة المسلمين: سوادهم الأعظم ومجموعهم الملتزمون بالسنة، أو المجتمعون على إمام يطبق فيهم شرع الله. وفي ذلك يقول تعالى: **{وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُوا إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعَّدُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا}** [النساء: 83].

وبما تقدم يعلم أن أمر البت في النوازل والحوادث المستجدة وإيضاح حكم الشرع فيها، ليس لأحد أن يخوض فيه إلا العلماء أهل البصيرة في الدين، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في معنى الآية: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة؛ عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضداتها... ولهذا قال: **{لَعِلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ}** أي: يستخرجونه بفکرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة".

فمهما كان في الانفراط والوحدة من خير، فإنَّ الخير الأقل مع الجماعة أفضل وأصوب.

ومما ينبغي التنبه إليه كثرة تغيير المواقف والانحراف عن الطريق؛ فلكل نفس قدرها على الصبر أو التحمل، ولبعض النفوس هواها وشهواتها، فلا ينبغي أن يتأثر المسلم بهذه المواقف والتغيرات، ما دام مع إخوانه يراجعهم، ويشاورهم، ويصدر عن رأيهم، ففي ثباته أخذ بالامر الشرعي، وتثبيت إخوانه المسلمين..

نسأل الله تعالى أن يربينا الحق ويبصرنا به، وأن يرزقنا الثبات عليه حتى لقائه..

والحمد لله رب العالمين

المصادر: